ASJP مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
Algerian Scientific Journal Platform
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد : 06، العدد : 01 (2021) ص : 74 – 80

حركية الشعر الشعبي الحوزي في منطقة تلمسان (ابن سهلة بومدين انموذجا)

The movement of popular hawzi poetry in the Tlemcen region (Ibn Sahla Boumediene as a model)

بن عبد الله فتح الله

جامعة محمد بوضياف المسيلة – الجزائر –

fethallah.benabdallah@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
27 جوان 2020
تاريخ القبول:
29 نوفمبر 2020

الكلمات المفتاحية :
- ✓ الشعر الشعبي
- ✓ منطقة تلمسان
- ✓ ابن سهلة بومدين

الملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية تحقيق مقاربة استقرائية للشعر الشعبي الحوزي في منطقة تلمسان، من خلال الوقوف على أحد اقطاب هذا الشعر .. ابن سهلة بومدين التلمساني من خلال شعره. وكذا استجلاء ما كتب عن حياته ؛ ورصد جماليات هذا النوع من الشعر وخصوصياته . وتنطلق الدراسة في تحليلها لبنية بعض نصوصه وشعريتها ووظائفه المختلفة من ضرورة مقاربته أفقيا بهدف معرفة مكوناتها ومعجمها الشعري بالاعتماد على ديوانه المحقق.

Article info

Received
27/06/2020
Accepted
29/11/2020

Keywords:
- ✓ *folk poetry*
- ✓ *Tlemcen region*
- ✓ *Ibn Sahla Boumediene*

Abstract :

This research paper attempts to achieve an inductive approach to Al-Hawzi folk poetry in the Tlemcen region, by standing on one of the poles of this poetry.. Ibn Sahla Boumediene Tlemceni through his poetry. As well as clarifying what was written about his life; and monitor the aesthetics and specifics of this type of poetry. The study begins in its analysis of the structure of some of its texts, poetry, and its various functions, from the necessity of approaching it horizontally in order to know its components and poetic glossary by relying on its investigating divan…

1. مقدمة

إن إحياء الشعر الشعبي "الحوزي" ودراسته، إسهام علمي لا يعد في حقيقة الأمر سوى انطلاقة لخدمة هذا التراث الذي انفردت به تلمسان بجودته وعلوّ الهامه. وما يزال في حاجة إلى مزيد من اهتمام الدارسين والفنانين تحقيقا وبحثا، ليتجلى في الأذهان مظهرا من مظاهر العبقرية الجزائرية التي أبدعت هذا الفن شعرا و لحنا دون أن تهمل الثقافة العربية في أصولها ومنابعها، بل إنّه تراث استوعب في روحه تلكم الثقافة، واستوحى منها الأغراض والموضوعات والمعاني والاستشهادات؛ فكان "الحوزي"، بذلك، جنسا أدبيا شعبيا يربط الانسان الجزائري بتراثه العربي ولا يفصله عنه، ملوّنا إيّاه بنكهة محلية.

لما اطمأن العثمانيون الأتراك إلى ملكهم بعد أن مكن الله لهم في الأرض، بعد ذهاب سلطان بني زيان، وزوال دولتي بني عبد الواد، وبني حفص. سرعان ما استشعر الناس هدأة الأيام من حولهم، فتدافعوا على المتاع واللذّة في نهم وإسراف، وقد استغرقهم التّرف والنعيم، ومالت بهم الدّعة والراحة إلى كل مستقر ومستودع.

ولم يكن الشعراء وحدهم السبّاقين في هذا المضمار، فكل من حولهم قد سارع وخلع العذار، ونستطيع ألاّ نستثني بايًا، أو آغًا، أو دايًا فوق عرشه، ولا حاكمًا في قصره، ولا سوقيًّا في بيته.

إذن، كان لابدّ لروح العصر هذه، من نفوس تتمثل فيها، ومواهب تشدو بها وتصورها؛ وتسجل مظاهر اللّهو والمرح التي كانت سمة الحياة والأحياء في هذه الآونة، وقد استجابت نفوس كثيرة لدواعي الحسن والجمال وأسبابهما، وهتف الشعراء، والموسيقيون، والمغنون بكل مطرب ومعجب، بين القصور الشامخة اللاهية، أو "شبه البيوت" المتطامنة الواعدة .

غير أن روح العصر هذه لم تتجل في صدق وعمق، إلاّ في شخص، "أبي مدين بن سهلة"، الشاعر الذي يمثّل الصورة الحية الخالدة لأيامه، والفنان الملهم الذي استوعب كل هذه المنابع الثرة، وصاغ منها أشعاره وقصائده، فحفظت الأجيال اسمه، وربما نسيت عصره، بَيْدَ أنها لم تنس شاعره، لأنه كان شعلة لروح الغناء والمرح و اللهو الإنسانيين، لم يشب نورها شائبة تعكر صفائها وبريقها أو تعوق مسراها في مسارب النّفوس.

و الحق إن "ابن سهلة" كان يصور جانبا عامرا من جوانب النّفس الإنسانية بهذا اللهو الذي أوغل فيه بعنف، أدق تصوير وأبرعه، ومن هنا تعشقته النّفوس، وتعلّقت به القلوب، لأنّها وجدت فيه ريها وغذاؤها.

وعلى الرغم من هذا كلّه، فلا مبالغة إذ قلنا: إن "ابن سهلة" هو الشخص الذي يكاد لا يجهله أحد من مختلف طبقات المثقفين والموسيقيين عندنا صغارًا و كبارًا؛ فقد أحرز على شهرة واسعة، بحيث لا تسأل عنه متذوّقًا لفن "الحوزي"، ولو ناشئا، إلا وجدت عنده من أمره خبرا، وذلك بفضل شهرة قصائده.

ومنها: "خاطري بالجفا تعذّب[1]" و"نار اهواكم لهّاب[2]" و"يالواحد خالق الأعباد سلطاني[3]"، و "يا مسلمين قلبي اليوم زاد اهبال4"، و"كيف عملي او حياتي"[5].

2. العنوان الرئيسي الأول

الحوزي في اللّغة من «حَوَزَ: الحاء والواو والزاء أصلٌ واحد، وهو الجمع والتّجمع يقال لكل مجمّعٍ وناحيةٍ حَوْزٌ وحوزةٌ. وحَمَى فلانٌ الحوزةَ أي المِجمَعَ والناحية»[6].

مولده: هو أبو مدين بن محمد بن سهلة الثالث: شاعر تلمساني من فحول الحوزي المشهورين. وُلِدَ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. وهو العهد الذي اشتُهِرَ بالشعراء الغزليين الذين تغنى بأشعارهم أهل الطرب.

يَا كَحْلَ النَّجْـلَا طِرْ فِي اَلْأَمْـزَانْ[7] تَعْـلَا لَاَهْـلْ بَنِيْ جَمْلَة* يَحَفْظَكْ مَوْلاَنَا الرَّحْمَـانْ

مَـنْ دَرْبْ اَلْـغَفْـلَة وَ اَلْحْسُـودْ وَ اجْمِيـعْ اَلرُّقْبَـانْ[8]

*سبة للدّرب الذي ولد ونشأ به. وهو في الواقع دربين: واحد غير نافذ، وبه قوس للدلالة على ذلك والثاني نافذ وينفتح على مستوى درب الصبّاغين يوجد مدخله الرئيسي بالقرب من حمام الحفرة.

وحسب خاصية فنية في شعر ابن سهلة، وفي شعر غيره من الشعراء الشعبيين والرسميين، تتمثل في تأريخ نظم القصائد وتوقيعها أو ما يعرف بالتاريخ الشعري Chronogramme ويعني "أن ينظم الشاعر في آخر أبياته كلمات إذا حُسبت حُروفها بحساب الجُمَّل (كذا) اجتمعت منها سنوات التاريخ المقصود من ولادةٍ، أو زواجٍ، أو وفاةٍ، أو سفرٍ، أو بناء مسجد، أو تعيين في وظيفة، أو عزل أو انتصار..."[9] ويسمونه "التاريخ الحرفي أيضًا، لأن المرجع فيه إلى حساب الأحرف الأبجدية"[10].

و"الشّعر المؤرّخ، الذي يستخدمُ في تأريخ حدثٍ معين بإبدال الحروف بأرقامها الجملّية وتحسب حروف الكلمات التي بعد كلمة تاريخ أو ما يشتق منها"[11]. أو بصورة أخرى ينبغي للنّاظم من، "ذكر لفظة تاريخ، أو أحد مشتقاتها، ثم يورد بعدها الكلمات المتضمّنة التاريخ"[12].

وهناك جدولان لتأريخ الجمّل أحدهما مشرقي والآخر مغربي، أما الطريقة الثانية فهي طريقة: الألف باء، وتتسلسل فيها الحروف العربية طبقًا للنظام الهجائي الآتي: ا. ب. ت. ث. ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ع. غ. ف. ق. ك. ل. م. ن. هـ. و. ي.

ولنترك الآن طريقة "الألف باء" لأنها تساعدنا في قضية التواريخ الشعرية، ولنأخذ الطريقة الأبجدية بترتيبها ومعادلاتها في الأرقام من خلال الجدول المغربي.

الجدول المغربي 13:

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح
1	2	3	4	5	6	7	8
ط	ي	ك	ل	م	ن	ص	ع
9	10	20	30	40	50	60	70
ف	ض	ق	ر	س	ت	ث	خ
80	90	100	200	300	400	500	600
ذ	ظ	غ	ش				
700	800	900	1000				

ولما كانت قراءة «التاريخ الشعري سهلة، لا لبسَ فيها ولا ابهام، ولا تقتضي إلّا عملا حسابيابسطا»14، وعلى قريّ القدماء من الشعراء المذكورين يسير أبو مدين بن سهلة ويقفو آثارهم في التأريخ الشعري، كشأن معظم الخصائص الفنية والصور، فقد وقفنا على أربعة تواريخ بما توافر لنا من شعره، المطبوع وغير المطبوع، نوضحها كما يلي:

ففي قصيدته "فَاتْ شْعَاعْ اَلْقَمْرَة"، وتعرف أيضا بـ " دَاويني نَبْرَا "، يؤرخ:

وَ اَلْمَرْوْ اللّي سَمَّاكْ يَرْحْمُو سَمَّاكْ بَاَلْاَسْمْ اَلْفْضِيـلْ

شِينْ وَ عْشُورْ الرَا عِينْ بَعْدْ اَلْعَشْرَة فِي أَوّلْ اَلْكْلَامْ[15]

فيكون الحساب كالتالي:

$$\text{ع} + 10 + \text{ر} + \underset{1010\times\times}{\overset{1\ 1}{\text{ش}}}$$

$$1000 + \underset{1010\times\times}{\overset{1\ 1}{200}} + 10 + 70$$

$$1000 + 20 + 10 + 70$$

إذن: $1100 = 100 + 1000$

وتاريخ إنشائها هو: 1100هـ.

وفي قصيدة " مَا عَنْدِي مَرْسُولْ"[16] نقرأ تأريخها في ختامها:

بَعْدْ امْيَا وْ أَلْفْ وَ ادْرَكْ اَلْيَا وَ اَلْهَا وَ اَلْبَا اسْبَابْ

فالحساب كما يلي:

100 + 1000 + ي + هـ + ب

100 + 1000 + 10 + 5 + 2 = 1117

وتاريخ الإنشاء هو: 1117هـ.

ونعثر في قصيدة " لاَ تْخَيَّلْ يَا اَلْقُمْرِي ادِّي لِي ذَا السْلاَمْ"[17] على تاريخ نظمها:

تَّمْ خْطَابِي اَوْفِيتْ نَشْدِي بَعْدْ اَلْأَلْفْ حُطْ اَلْفَا اَوْ الطَا اَوْ مِيمْ حْرُوفْ مَتَّصْلِينْ

وبالطريقة الحسابية، وفق الجدول المغربي، يكون تاريخ النظم هو:

1000 + ف ← 80 + ط ← 9 + م ← 40 = 1129هـ.

بينما في قصيدة "يَا اَلْوَاحَدْ خَالَقْ اَلْاَعْبَادْ سُلْطَانِي"[18] نلفي تاريخ نظمها كالتالي:

تَّمْ ذَا اَلْقْصِيدْ اَبْلَفْظْاَعْجِيبْ وَ امْعَانِي بَعْدْ شِينْ وَ الرَّا زِيدْ اَلْبَا اعْلَى عَشْرَا[19]

فالحساب يكون على النحو التالي:

ش ← 1000 + ر ← 200 + ب ← 2 + 10 = 1212

إذن فتاريخ الإنشاء: 1212هـ.

نفيـه: وإحساس شاعرنا بالجمال، وتذوّقه، واغتنامه فرص الحياة، وحرصه على المتعة في الصراحة لا تعرف الرياء، ومجاهرة لا تحب التستر، جلب إليه لوم العذال و انتقاد الحكام. ولكثرة تشبيهه بنساء مختلف الطبقات الاجتماعية شكاه الأهالي إلى الحاكم، فأمر بنفيه إلى وهران، وقيل إلى مدينة وجدة، بالمغرب الأقصى، لمدّة سنة كاملة.

ولما عفا عنه الباي عاد إلى تلمسان واستقرّ به المقام بناحية فدّان السّبع، وهي من أحواز المدينة، مواصلا نظم شعر الغزل، "مقتفيا الطريق التي سلكها أبوه من قبله"[20]، ومتفننا "في وصف الحبيب، ومجالس الطرب واللهو وذكر آلام الفراق والهجران"[21]، فكان "واحدا من شعراء المدرسة الحضرية[22] التلمسانية"[23]، ولذا فإن "نظمه يمتاز بكل ما امتاز به فن أبيه من رشاقة وخفة وحسن سبك"[24].

وفـــاته: ولما تقدمت السنون بشاعرنا، وجرت عليه الأيام، "فقد حاسة بصره"[25]. أمّا وفاته فكانت "في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي"[26]، "ودفن قرب قبر الشيخ السنوسي بتلمسان"[27].

مهنته: كان يشتغل في الحياكة مثل أبيه وجلّ أقرانه منذ الصغر؛ لأن العمل كان جزءا من حياة الرجال فبعد الكتّاب يتجه الصبي للعمل كمساعد للعمال ذوي الخبرة ويطلقون عليها في تلمسان "السُّخْرَة"[28] أي يقضي لهم حوائجهم من الإتيان لهم بالشاي مثلا وتنظيف المحل. ثم ينتقل تدريجيا إلى المهنة من أبسطها و هو يترقى حتى يصبح (صْنَايْعِي).

وعلاوة على حرفيته في نظم الشعر الذي ورثه من أبيه مع موهبة رزقه الله إياها وكذلك طبيعة العمل في الحياكة لقضاء الوقت مما غرست فيه تعاطي الغناء والموسيقى معا فاكتملت موهبته الشعرية بالموسيقى الغنائية والإيقاع الشعري.

3. خاتمة

وبعد، فهذا شاعر من شعراء ضاع من شعرهم الكثير، وعفته الأيام، ولعل هناك شعراء مازالت أشعارهم موجودة في زوايا رفوف المكتبات، وفي ثنايا الكناشات، أو بين المخلفات من الأوراق و الدفاتر، تنتظر الباحثين في ثنايا هذه المكتبات، وفي زواياها ورفوفها وبين المجلدات والأوراق، فهل يكون من حظنا أن نكون منهم.

الهوامش

1- Sonneck: Chants Arabes du Maghreb, étude sur le dialecte et la poésie populaire de l'Afrique du Nord, 3vol. paris. 1902. 1904, p.p, 60-63.

2- ديوان ابن سهلة.جمع وتحقيق وضبط وتعليق: شعيب مقنونيف، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2002، ص ص:83-84.

3- محمد بخوشة، كتاب الحب و المحبوب، مطبعة ابن خلدون: تلمسان، دط، 1939، ص ص: 80-89.

4- نفسه، ص 79، 80. وديوان ابن سهلة، ص ص: 38-41.

5- أحمد بن فارس (أبو الحسين بن زكريا)، معجم مقاييس اللّغة، ج2، بتحقيق و ضبط عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، 1979م، ص117. و"الحَوْزُ: الموضِع يحُوزه الرجل، تُتَّخذ حَوَلَيه مُسَنَّاةٌ، والجمع الأحواز". انظر: الزّبيدي (السيد محمدمرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج15، تحقيق الترزي، وحجازي والطحاوي والعزباوي، راجعة عبد السار أحمد فراج بإشراف لجنة فنية بوزارة الاعلام، مطبعة حكومة الكويت، 1975م، ص120. ويذكر الأستاذ دانيال ريغ Daniel Reig في معجمه المزدج إن: «حوزة البلد: L'intégrité, la totalité du territoire وحوزيّ: Qui fait bande à part, isolé وحوزٌ، جمع أحواز من الحيازة: Banlieu, alentours, environs, territoire» والسبيل: معجم عربي فرنسي، فرنسي عربي، مكتبة لاروس، باريس(6)، 1983م، رقم مادة حوز 1408.

6- أي «مُزْنٌ، جمع المزنة: السّحابة البيضاء، و هي أيضا المِطْرَة» انظر: مختار الصحاح مادة مزن، ص623.

7- عامية، و تعني الرقباء، جمع رقيب، و هو «الحافظ و المنتظِرُ» انظر: مختار الصحاح، مادة: رقب، ص252.

8- أبجدية المنفى والبندقية، ص 15 - 17.

9- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، دار الكتاب العربي: بيروت، ط02، 1974م، ص377.

10- محمد سعيد اسبر و محمد أبو علي، الخليل معجم في علم العروض، دار العودة: بيروت، ط01، 1982م، ص104.

11- المعجم الأدبي، ص56.

12- تقرير مؤتمر هواة "الملحون" مراكش 1970م ص10. معلقات معرض ذكرى "أحمد الحبّاك"، بدار الثقافة بتلمسان من 26 إلى 30 سبتمبر1993م. كناش مصطفى باغلي، ص85.

13- عانوتي أسامة، الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن 18م، مطبوعات الجامعية اللبنانية: بيروت، د.ط، 1970م، ص66.

14- ديوان ابن سهلة، ص76.

15- نفسه، ص ص: 42-46.

16- نفسه، ص ص: 80-82.

17- انظرها كاملة في: -Chants Arabes du Magheb p. S : 64, 65. ديوان ابن سهلة، ص ص، 80-82. الجواهر الحسان، ص ص: 380-388.

18- ديوان ابن سهلة، ص82. الجواهر الحسان، ص387.

19- نفسه، ص53.

20- الجواهر الحسان، ص389. Med Belhalfaoui : La Poésie Arabe Maghrébine. p. 206.

21- من شعرائها كذلك ابن التريكي، و ابن مسايب، و ابن الدباح و بلحسن بن شنهو، و عبد الحق قازي.

22- انظر: Dib (S) : Anthologie de la Poésie. P 146 .181 Ahmed(T) : La Poésie Populaire Algérienne. p

23- ديوان ابن سهلة، ص 53.

24- نفسه، ص53. والجواهر الحسان، ص389.

25- نفسه، ص53. والجواهر الحسان، ص389.

26- انظر: - Mahdjoub (H.A) : Med Ben sehla et boumdiène, in Bulletim, p .65.

27- لها أربع روايات، اخترت ما جاء به محقق الديوان أ.د. مقنونيف شعيب، مخطوط.

28- رسالة الماجيستير: صورة المرأة في شعر ابن سهلة: جمع و دراسة،ج2، سنة 1994-1995، ص ص 38-41.